منهجية استثمار مصطلحات مكتب تنسيق التعريب

في المعاجم العربية:معجم الغني نموذجاً

د. عبد الغني أبو العزم (*)

يهدف هذا العرض إلى توضيح المنهجية التي سلكتها في أثناء إنجازي لمعجم الغني، وكيف تعاملت مع المصطلحات العلمية في محاولة لاستثمارها، وفي مقدمتها مصطلحات مكتب تنسيق التعريب، وما أقرته مؤتمرات التعريب، لكونها تعد مؤسسة لغوية علمية تهدف إلى توحيد المصطلح على صعيد الأقطار العربية، وقد تمكنت بعد سنوات من الجهود المتضافرة أن تراكم كماً هائلاً من المصطلحات، ومست بذلك مختلف العلوم الإنسانية والعلوم الدقيقة، مما يفرض على المعجماتيين الاستفادة منها وإدخالها في معاجمهم بعد إيضاح تعريفاتها العلمية.

إن ما يلاحظ حالياً أن المعاجم العربية المتداولة، بين أيدينا، تخلو من المصطلحات الحديثة، و لم يتم لحد الساعة استثمارها معجمياً، مما يجعلها دون فائدة، ولا تلبي رغبة مستعمليها إذا ما استثنينا المعجم الوسيط الذي أدخل عدداً محدوداً من المصطلحات العلمية، تتداول داخل اللجان العلمية، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكذا المعجم العربي الحديث لاروس الذي نجد فيه عدداً لا بأس به من المصطلحات العلمية.

لقد عرفت المعاجم العربية القديمة تطوراً هائلاً، إذ تمكنت، عبر مسارها، من استقصاء جل الألفاظ التي تكلم بها العرب داخل سياقاتها الأدبية، وإن كانت لم تهتم بكل الألفاظ التي عرفت شيوعاً وتداولاً فيما بعد، ومن بينها المصطلحات العلمية والفلسفية والكلمات المعرّبة.

يستدعي تطور العلوم وتدفق المصطلحات في عصرنا إعادة النظر في طبيعة المعاجم العربية، وتكييفها حسب متطلبات المعرفة المعاصرة وتحديد خصائصها وأهدافها.

إذا ما تصفحنا المعاجم العربية، قديمها وحديثها، فإن ما يثير الانتباه هو خلوها من المواد العلمية بجميع تخصصاتها وفروعها، ولا تحتوي على علوم عصرها.

من هنا تبدو الحاجة إلى معجم حديث على قاعدة لسانية علمية من بين أسسها:

- تحديد الرصيد اللغوي الأساس المشترك، على صعيد الأقطار العربية.
- استقصاء المفردات العادية والمتداولة في الكتب الأدبية (شعر، قصة، رواية، مسرح،إعلام).
- استقصاء أسماء النباتات والحيوانات وتحديد فصائلها.

(*) جمعية الدراسات المعجمية بالرباط

- رصد المصطلحات العلمية والتقنية المتداولة في المواد العلمية، ما يدرس منها في المدارس والمعاهد (الأدب، والفلسفة، والاجتماع، والأنثروبولوجيا، والتربية، والبيئة، والصحة، والجغرافية، والآثار، والتاريخ، والكيمياء، والفيزياء، والهندسة، وعلم الأحياء...).

- رصد الألفاظ الحضارية (الملابس، والزينة، والطبخ والموسيقى، والفنون).

يلاحظ أننا أمام علوم مختلفة، حيث يتطلب العمل المعجمي تعدد الاختصاصات، وهنا لا يتعلق الأمر بمجرد استقصاء المفردات والمصطلحات فقط، بل يتجاوز ذلك إلى ضرورة ضبط التعريف لكل مصطلح على حدة، وربط كل تعريف بتطور العلوم، إلا أن طبيعة العمل المعجمي تستدعي عملاً جماعياً، إذ لم يعد باستطاعة الفرد الواحد التغلب على معالجة كل مداخل المعجم وإيجاد تعريف دقيق لها، فضلاً عن أن الصناعة المعجماتية لم تعد قابلة للتأجيل والتباطؤ والانتظار المميت الذي يدوم سنوات طويلة، إذ غدت السرعة تتحكم في إنجازاها لكونها أضحت تعتمد الأدوات الحاسوبية والمعلوماتية.

وفيما يتعلق برصد وإحصاء المفردات، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه، لم يعد بالإمكان حصرها بالاعتماد على المعاجم القديمة أو على الذاكرة، أو على مجرد جرد النصوص يدوياً، فكل ذلك أصبح متجاوزاً أمام ما تنجزه وتقوم به المكانز اللغوية من تخزين للنصوص واستعادتها وإفراز المفردات داخل سياقاتها التي قد تصل إلى أزيد من 600 مليون مفردة، هذا بالإضافة إلى إنجازات بنوك المصطلحات، والمجامع اللغوية العربية، وفي مقدمتها مكتب تنسيق التعريب الذي تمكن، خلال مسيرته العلمية، من إنجاز حوالي 50 معجماً للمصطلحات العلمية في مختلف العلوم، سواء منها العلوم الإنسانية أو العلوم الدقيقة. لذلك سنحاول أن نحصر هذا العرض، بطبيعة الحال، وكما طلب مني، في ضوء ما أنجزه مكتب تنسيق التعريب من معاجم المصطلحات في شتى المجالات العلمية باعتبارها مادة جاهزة للاستعمال، لكي نقف على إمكانات استثمارها تعليمياً من جهة، وتوظيفها توظيفاً معجماتياً، لتعميمها وإشاعتها من جهة أخرى.

يمكن تصنيف معاجم مكتب تنسيق التعريب إلى صنفين:

- المصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام.

- المصطلحات العلمية المتخصصة.

لقد شمل الصنف الأول معاجم المصطلحات الخاصة بمراحل التعليم العام التي اهتمت في البداية بالمواد التالية :

- مصطلحات الرياضيات

- مصطلحات الفيزياء

- مصطلحات الكيمياء

- مصطلحات علم الحيوان

- مصطلحات علم النبات

- مصطلحات الجيولوجيا

بينما شمل الصنف الثاني معاجم المصطلحات العلمية المتخصصة، وهذا الصنف في الواقع خضع إلى تنفيذ قرار لجنة علمية، شكلتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، يقضي بدمج أغلب المعاجم التي أُنجزت، حسب التجانس الموضوعي، وقد غطت، لحد الساعة، عدداً من المصطلحات في مجالات علمية مختلفة، منها: اللسانيات، والفيزياء، والرياضيات،

والفلك، والموسيقى، والكيمياء، وعلم الصحة، وجسم الإنسان، والآثار، والتاريخ، وعلم الأحياء، والجغرافيا، والتجارة، والمحاسبة، والطاقات المتجددة، والمصطلحات المهنية والتقنية، والعلوم الإنسانية، والفلسفة، وعلم الاجتماع، والانثربولوجيا، وعلم التربية.

يعد هذا العدد الضخم من المصطلحات في مختلف العلوم قاعدة لتأسيس بنك المصطلحات العلمية التي أنجزت في إطار مكتب تنسيق التعريب لكي يتم استثمارها مباشرة دون الرجوع إلى المطبوعات، وهذه المهمة في طريقها لتصبح مادة في متناول الباحثين والمعجماتيين.

لقد أضحى بالإمكان الاستفادة من هذا الكم الهائل من المصطلحات بسهولة تامة، في ضوء البرمجة الجديدة التي اعتمدت، وهذا ما يقودني إلى طرح الإشكالات التي اعترضتني عندما كنت أعود إلى معاجم مصطلحات مكتب تنسيق التعريب في شكلها القديم، في أثناء إنجازي لمعجم الغني في منتصف الثمانينات.

لقد كان من الطبيعي أن تحتل معاجم مكتب تنسيق التعريب حيزها، ضمن كل المصادر التي اعتمدتها، وأن ترتبط أساساً بمسارد الصنف الأول المشار إليه أعلاه، لكونها تتناول مصطلحات المواد الأساس في مجال التحصيل المدرسي، وضمن خطة هادفة لاستخدام اللغة العربية لغة للتدريس، فضلاً عن الهدف الأساس، أي توحيد المصطلحات على صعيد الأقطار العربية، والتمكن منها، وإدخالها في مشاريع المعاجم العربية لتتم الاستفادة منها على نطاق واسع منذ بداية المرحلة التعليمية الأولى.

سأعرض في هذه الجلسة لنموذج واحد من معاجم الصنف الأول، أي معجم الحيوان،وهو يتضمن ثروة لغوية تصل إلى حدود 2500 مصطلح، ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أصناف :

1- صنف عام

2- صنف عادي متداول

3- صنف متخصص

وكل هذه الأصناف متداخلة ومترابطة، وذات علاقة مباشرة بالحيوان، إلا أنها مع ذلك تطرح إشكالاً فيما يخص عملية انتقاء واختيار المصطلحات الملائمة للمستوى المعين الذي أشتغل في إطاره، أي إنجاز معجم وظيفي موجه إلى تلامذة المدارس الثانوية:

لقد فرض علي تداخل الأصناف وترابطها فحص كل مدخل على حدة، وربطه بصنفه أو مقابلته بالرصيد اللغوي الذي اعتمدته في البداية، و لم يكن يتجاوز ستة آلاف كلمة.

لقد صادفت عدداً هائلاً من المصطلحات لم أكن أجد لها مكاناً في داخل معجمي، بحكم طبيعته المدرسية، إذ إن أغلبها يصب في مجال التخصص الدقيق، وفضلاً عن ذلك لم تكن مصحوبة بتعريف، مع العلم أن أسماء الحيوان تم الحرص على تعريفها تعريفاً مقتضباً وعاماً.

إذً، أين تكمن أهمية معاجم المصطلحات العلمية التي أنجزها مكتب تنسيق التعريب وصادقت عليها مؤتمراته الدورية؟

يمكن في ضوء هذا الإنجاز حصر أهميتها فيما يلي:

1- وضع مدونة شبه شاملة بمصطلحات علم من العلوم وحصرها حسب مادته.

2- وضع ما يقابل المصطلحات باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

3- إضافة مصطلحات جديدة لم تكن متداولة من قبلُ، وتدخل في نطاق التعريب و التوليد.

4- إتاحة فرصة الانتقاء والاختيار حسب طبيعة المعجم المراد إنجازه.

5- التوسع في المصطلحات التعليمية الحديثة.

إلا أن هذه الأهمية وما تتيحه من مردودية، لا تلغي ضرورة تدقيق النظر في مضامين المداخل المقترحة، والعودة إلى أمهات المعاجم، عربية أو أجنبية، للتأكد من معانيها وتطعيمها، إن اقتضى الحال، بالأمثلة والشواهد والجمل المسكوكة والعبارات الفصيحة المتداولة في الكتب الأدبية أو العلمية.

وبذلك، فإن أهمية معاجم مصطلحات مكتب تنسيق التعريب تضعك أمام كمية هائلة من المصطلحات، منها ما هو عام وقابل ليستثمر معجمياً، حسب التوجه التعليمي والتربوي المرتبط بطبيعة المعجم المرغوب فيه، ومنها ما هو خاص بالمعاجم المتخصصة، وهذا ما يتيح إمكانات الانتقاء والاختيار والتقابل الموضوعي لتكييف العمل المعجمي مع مقتضيات توجهاته، وإغنائه بكل الألفاظ والمصطلحات الحديثة، ويعود في هذه الحالة تحديد طبيعة المصطلحات أو الألفاظ الواردة في معاجم مكتب تنسيق التعريب إلى عمل المعجماتي الذي عليه أن يدقق في انتماء المصطلح لماهية علمه ومجاله وتعريفه تعريفاً علمياً، فضلاً عن تعيين أصوله اللغوية إن كان مولداً أو معرباً أو محدثا.

لقد كان اعتمادي مصطلحات مكتب تنسيق التعريب، في أفق استثمارها، خاضعاً للأهداف الرامية إلى توحيد المصطلح، ولكون هذه المصطلحات مرت من مراحل الحوار والتصور والتدقيق، مع ما يمكن أن تثيره من إشكالات بالنسبة لبعض المصطلحات.

وكما أشرت في البداية سأبين من حيث التطبيق من خلال مادة معجمين فقط: معجم الحيوان، ومعجم العلوم الإنسانية الذي أنجز في مرحلة لاحقة، كيف تعاملت مع مجمل المصطلحات التي أدرجتها في معجم الغني، مع العلم أن المصادر المعجمية التي اعتمدتها لم تكن مقتصرة على ما جاء في معاجم مصطلحات مكتب تنسيق التعريب.